



في سنن الله الكونية

تأليف الأستاذ محمد أحمد الصمراوى

عرض وتعليق - رجا الى لجنة ترجمة مائى القرآن الكريم -

واجب علمائنا الطيبين

للأستاذ عبد المنعم خلاف

تفضل حضرة الأستاذ الجليل العالم المؤمن محمد أحمد الصمراوى المدرس بكلية الطب بالجامعة المصرية والمنتدب للتدريس بكلية أصول الدين من الجامعة الأزهرية فأهدى إلى نسخة من كتابه الحديث « في سنن الله الكونية » فقلبت عيني فيه بشوق الذى يعرف علم الأستاذ بالطبيعة وبقه في الدين ، لأنى واحد من تلاميذ محاضراته ومحادثاته في العلم والدين في نادى المركز العام لجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ، تلك المحاضرات التى كان لها كبير الأثر في أنى صرت وأخذت الاسلام بروح العلم وأخذ العلم بروح الاسلام ، كما يجب أن يكون وكما حققه هو في كتابه القيم ، اتباعا لمناهج القرآن وتلبية لدعوته العقول إلى الطبيعة

والكتاب في العلوم الطبيعية ، وقد درسه الأستاذ لطلاب قسم لوعظ والارشاد بالأزهر ، وقد وازته بما درسته في دور التعليم وما قرأته في المجالات العلمية من جهة ما فيه من مادة العلم الطبيعى فقط ، وأؤكد للقارىء الكريم أننى خرجت منه بأشياء جديدة كثيرة ما عثرت عليها في غيره على كثرة ما قرأت من هذه البحوث التى أحبا لأنها تصلنى بالحياة وقوانينها وسيرها بالأحياء ، في عبارة سهلة مشرقة محبوبة ، لأن المؤلف فوق أنه عالم طبيعى كبير ، هو أديب ضليع ومنطقي يقظ لكل ما يدور حول ما يكتبه . يشهد له بذلك كتاب النقد التحليلي لكتاب (في الشعر الجاهلي) للدكتور طه حسين بك ، الذى بين به أن له قلما سابقا في الآداب كسبقه في العلم . وفي سنن الله الكونية ، يقع في ٢٢٢ صفحة عدا الفهارس وهو مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب : الأول في العلم والدين ، والثاني في المادة وأصلها وخواصها وأحوالها وأنواعها وتغيراتها ... الخ ، والثالث في الطاقة وأبحاثها وآثارها ... الخ

رأيت واجد في المقدمة إجابة بالمسلمين ومعاهد الدراسة الاسلامية ألا يغفلوا مباحث الفطرة وعلوم سنن الحياة لأن العلم بها جزء من العلم بدينهم وأصل من أصول قرآنهم الذى يتحدث بخمس آياته عن الطبيعة والنظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ . وكيف بدأ الخلق ... وأن يعلموا أن رجل الدين لا يسبغ العلم إلا إذا قدم له بروح الدين ، ورجل العلم لا يسبغ الدين إلا إذا قدم له بروح العلم ، وهى حقيقة نفسية يجب أن يلتفت إليها . وفي التمهيد بحث قيم عن موضوع العلوم الطبيعية وأثر دراستها في الوصول إلى فاطر الخلق والتوحيد بها بين العقل والقلب والعلم والعبادة .

أما الباب الأول فهو بحث جديد قيم عن العلم والدين ، جدير بأن يترجم إلى انجماع العلمية ، وأن يدرس في المعاهد الاسلامية ، لأن الأستاذ استطاع أن يبين بوضوح قرآنية اسم « العلم » بمعناه المحدود العصري ، وقرآنية « موضوعه » وقرآنية طريقته ، ففتح بذلك فتحة جديدة « لعلم الكلام » الذى يجب أن يكون في هذا العصر بعيدا عن منهج النظار والمتكلمين القدماء الذين كانوا يعتمدون على « تجريدات » الفلسفة اليونانية

إن قوانين العلم التى استخرجها الأستاذ من القرآن الكريم شئ ثمين جداً سيكون له أثر عظيم في تطور الفلسفة الدينية ، وفي لغت الانظار إلى القرآن الذى أتى بذلك قبل أن يأتي به فلاسفة العلم المحدثون بأحقاب وأزمان ! فالبرهان للإثبات ، والحذر من تطرق الظنى إلى اليقيني ، والغرض إلى الظنى ، ومنع الخاطئين الأشخاص في المبادئ ، ومنع التقاليد ، وتحكيم العقل العام ثم قانونا توافق واطراد الفطرة ، ثم اعتبار أصل المشاهدة واستعمال الحواس ، كل أولئك استطاع أن يتبسط فيه الأستاذ المؤلف بالشرح والبيان وأن يستخرج مستنداته من القرآن الكريم ، وأن يحبك حكمة عليا باخراج فى أخاذ

وأضف إلى ذلك أنه عقد مقارنة بين العلم القديم والعلم الحديث بين فيها كثيراً من أغلاط العلم القديم التى جره إليها طريقته واقتراضاته . وقد وقع بعض المسلمين في خطأ كبير ولأنهم عظم باعتمادهم على ذلك الأسلوب الفرضى حتى لقد بلغ بهم

كما نفهمها نحن الآن . ولذلك كان القرآن يقول لهم : وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسيم لو تعلمون عظيم . سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، وإن في وقوف الأستاذ المؤلف وهو عالم بقوانين الضوء والظل وفي القرن العشرين من قوله تعالى : ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ، ومن قوله : ثم قبضناه إني قبضا يسيرا ، وقفة العالم أمام حقيقة لانزال نجاة . . لشاهدا قائما على أن في القرآن آيات لم تكن نازلة للجيل الذي شهد نزولها ، فلا يصح أن نتحاكم نحن إلى فهمهم فيها مادام الزمن (أ أكبر مفسر للقرآن كما قال الشيخ حسن الطويل أستاذ الامام محمد عبده) قد أرانا بسير العلم وجها آخر يحتمله اللفظ ولا يأباه الأسلوب العربي ولا يضر القرآن شيئا أن تتغير الأوجه العلمية التي يفسر بها كل جيل آياته ، مادامت نصوصه هي ثابتة . وما دام كل جيل يجد فيه ما يرضيه ، فإن ذلك من أسرار إعجازه ومن عجائبه ، فإذا فهمنا نحن مثلا معنى اللقاح من قوله تعالى : وأرسلنا الرياح لواقح ، على أنه تلافح كهربائي بين الموجب والسالب في السحاب كما فسر الأستاذ الغمراوي . وفهمنا سر الاستدلال على البعث من قوله تعالى : الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ، كما بينه الأستاذ فأعتقد أنه لا يضر القرآن أن فهم من قبلنا في هذين الموضوعين وغيرهما وأن يفهم من بعدنا غير ما نفهم نحن الآن . على أن الوجه العلمي متى صار حقيقة دخلت في صف الميراث العلمي الثابت ، فحتوم على المفسرين أن يأخذوا به ، كما يتحتم عليهم أن يؤولوا النص القطعي إذا لم يتفق ظاهره مع ما يلزمه العقل لتقرير القاعدة الأصولية .

وبعد فقد قرأت في مجلة الهلال عدد مارس سنة ١٩٣٧ قبل أن أقرأ كتاب الأستاذ الغمراوي ثلاث مقالات عن الذات الإلهية لثلاثة من كبار علمائنا الطيبين هم : الدكتور علي توفيق شوشة بك مدير معامل وزارة الصحة ، والدكتور أحمد زكي بك مراتب مصلحة الكيمياء . والدكتور محمد ولي الأستاذ بكلية العلوم ، فاذا بالدكتور شوشة بك يقول : إذا كان هناك أناس أحق بمعرفة الله ودرك عظيمته والاقرار بوحدانيته فهم العلماء ، ذلك لأنهم أكثر خلق الله اتصالا بالطبيعة وأقربهم إلى لمس غوامضها ثم يقول : إنني كلما جلست إلى المكرسكوب أو انصرفت إلى التجارب في معمل لم أزد إلا خشوعا أمام تلك القدرة الإلهية .

الامر أن كانوا يردون القرآن إليه مع أن منهاج القرآن في طرق الانبئات والاستدلال واضح بينهم يشكر عليهم الشهود والوهم ، ثم عقد الأستاذ فصلا بين فيه أدوار النظر العلمي من جمع الحقائق بالتجربة والمشاهدة ، ثم استخراج القانون ، وبين طرق اكتشاف قوانين الفطرة بالاستقراء والتليس ، ثم ضرب مثلين يوضحان طريقة التليس ، وختم هذا الباب القيم بهذا الكلام البديع : وإن هذه الحقائق الطبيعية التي يكشف عنها العلم يحوته إن هي إلا نوع من كلام الله أو هي كلمات الله الواقعة النافذة كما أن آيات القرآن هي كلمات الله الصادقة المنزلة . وقد سمى القرآن حقائق أسرار الخلق كلمات الله في مثل قوله تعالى : ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله . (لقمان) . قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ، (الكهف) . وكلمات الله في هاتين الآيتين الكريميتين لا يمكن أن تكون كلماته المنزلة على رسله لأن كلماته سبحانه في كتبه المنزلة محصورة محدودة في حين أن كلماته المشار إليها في هاتين الآيتين لا حصر لها ولا نهاية . فلا بد أن تكون هي كلماته النافذة في خلقه والتي يبدو أثرها متجسما فيما نشاهد من الحوادث وفيما يكشف العلم من أسرار الكون . فالإسلام منسج للعلم كله حقائقه وفروجه ؛ والمجتهد مثاب خطأ أم أصاب مادام يريد وجه الحق ، وإن كان العلم لا يعرف إلى الآن أن سبيل الحق من سبيل الله .

أما بابا المادة والطاقة ، ففيهما يعرض الأستاذ المباحث الطبيعية عرض المطلع عليها في مراجع العلم القديم والحديث ، وفيهما مواقف ناجحة في تطبيق بعض الآيات الكونية في القرآن على حقائق العلم بما يضيف ثروة جديدة لنواحي إعجاز القرآن تمتلئ بها عقول الدعاة والوعاظ ؛ ففي مباحث الجاذبية والآثير والظواهر الجوية والتشكيل الخضري والضوء والظل والقي حقائق أشار إليها القرآن يحذر بكل مسلم أن يعرفها ويحذر بلجنة ترجمة معاني القرآن أن تنتفع بها ، فلا تقف عند ما كان يفهم منها العرب الذين أنزل عليهم كما أشارت إلى ذلك فيما وضعته من القواعد الأولية التي تيسر عليها في الترجمة ، فإن القرآن ليس كتاب جيل واحد ؛ ولنا أن نفهم منه غير ما كانوا يفهمون وبخاضة الآيات الكونية التي لم يكن علمهم ولا علم البشرية ليساعدهم . على فهمها

وإذا بالدكتور زكي بك يقول في آخر مقاله الطويل الممتع كأنه قصيدة، المطرب كأنه ترتيلة، المثبت لوحداية الله بأسلوب عجيب. وبعد فتسألونني: ما صورة الله؟ تلك هي صورته: تلك المشيئة الهائلة العاملة التي لا تنام ولا تغفل، تلك الإرادة الواحدة التي تنظم العالم جميعا ما عرفنا منه وما لم نعرف، تلك البصيرة الباقدة في كل شيء، الشاملة لكل شيء، التي هي ملء الأرض والسموات التي أنا وأنت من بعضها، تلك الوحداية الشائعة الجبارة الغامرة، هي الصورة التي شاء الله أن نراها منه.

وإذا بالدكتور ولي يقول: هنالك يشعر الباحث الذي لم يتحيز إلى أي مذهب فلسفي والذي جرد نفسه من المؤثرات التي انكبت عليه أن هنالك سلطة وأن هنالك قدرة فوق كل هذه المحاولات، وتنزهت عن كل هذه الصفات التي تعودها في أثناء بحثه واستقرائه، إلى أن يقول: «فالله هو هذه القدرة الباهرة التي تجردت عن الماديات وتنزهت عن كل ما هو مألوف للحواس، قرأت هذا ثم قرأت كتاب الأستاذ الفمراوي الذي هو حجة من حجج إيمان العلماء، فاذا بي في عجب وأسف من أمر هؤلاء الذين لم يعرفوا من العلم إلا قشوره وزيفه وهم مع ذلك قد نصبوا أنفسهم دعاة للإلحاد وإنكار الله استنادا إلى العلم! هؤلاء أكثرهم من الأدباء طالبي الشهرة الذين يغرم ما يصنعونه، من الألفاظ ويخيل إليهم غرورهم وفتنتهم بما يقولون أنهم متى صنعوا جملة من الألفاظ فإن مواكب الزمان ستقف عن المسير، وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا، لأن أقلامهم هذه معاول فيما يخيل إليهم، إذا ما عملوها في أهول الحقائق وأعظمها وأملأها للكون ألا وهي فكرة الله، فإن ذلك سيجعل البشرية تستجيب إليهم تاركة مافي طبيعتها وما تنادى به الأكوان والأزمان من الإيمان!

أجل إن أقلامهم معاول ولكنها لا تهتم إلا ضمير الجاهل أو طالب اللذة الذي يريد أن يتحلل من قيود هذه الفكرة، ومن رقابها.

فهل آن الأوان لأن يجرد علماء الطبيعة - لأعلام الدين - حملة تدعو إلى الإيمان بالله عن طريق العلم، حتى يدحضوا بها حجج أدعياء العلم والفلسفة ممن هم في الواقع أعداء الجماعة وأنصار فوضى الضمائر والأوضاع كالشيوعيين الذين يحاربون الإيمان بالله لأنه في زعمهم منشأ الأوتوقراطية فيجب أن يزلوه - تعالى عما يصفون - عن عرشه، كما أنزلوا القيصرية والملكين!

إني أعتقد أن ذلك من أوجب الواجبات على علماء الطبيعة

الذين يعرفون الله أكثر من غيرهم والذين ما غرر بالناس إلا من طريق الانتساب إليهم. ولن بغنى البشرية شيئا انتفاعها المادي من علوم الطبيعة مادامت لا ترى اليد الجبارة التي تدير قوانينها، ولا تسجد لها طوعا كما تسجد كرها. وها نحن أولاء نرى الانسانية تستحيل إلى قطعان من الحيوان لها من العلم الطبيعي سلاح لا تلتطف وقعه تلك الفكرة الرحيمة التي تستمدح الضمائر من رحمان، ولا يصدده خوف من جبار، ولا يمنعه خشية من قيوم، على السموات والأرض، ديان، للخلاق!

وإذا كانت علماء الطبيعة من غير المسلمين لا يعترفون بإله معابدهم لأن له صورة غير صورة الإله الذي يحدون يده في الطبيعة فهم لذلك بعيدون عن محيط الدعوة إلى الإيمان والدين... فإن من حسن الحظ في الاسلام أن إله الطبيعة الذي وصل إلى الإيمان به علماؤنا عن طريق الطبيعة... هو ذاته «الله» كما يصفه القرآن الكريم الذي ماجد الطبيعة وظواهرها وما دعا إلى تعرف أسرارها كتاب مثل مادعا... بل لقد بلغ من اعتزازه بها أنه لم يترك ظاهرة من ظواهرها إلا أقسم بها... فأقسم بالزمان والمكان والحيوان والنفس والفجر، والضحى والليل والنهار والشمس والقمر والرياح والنجم والشفق... إلى آخر ما في الدنيا من ظواهر الخلق والأمر... أفلا يجب بعد هذا أن يبين علماء الطبيعة المسلمون أسرار هذه الاقسام؟ بلى إن ذلك من أمانة العلم قبل أمانة الدين

(بنداد)

عبد النعم فخر

مرض البول السكري

نصيحة من مريض (الله تعالى) إلى المريض

مررت بالبول السكري والتجأت إلى كل الطرق لم أستفد سوى استفادة مؤقتة تزول بزوال العلاج إلى أن وفقت الله تعالى إلى بعض أنواع بذور النباتات لم أهرها إلا بمخلوط من عصارة سمح طاهر الصاوي بوكالة أبو زيد المرزوقي بصرف مليون ٥٢٥٢٠ ولم يكلفني ثمن سوى مبلغ عشرة قروش صايف. واستعملت لمدة أربعة أسابيع كانت النتيجة مرضه بدأ... فقد ظهر منه نتيجة التحليل أن البول طبيعى بعد أن كان بنسبة ٥٥ في الألف. انصح بها المرضى واعتقد أن العمل المذكور لا ينافي عن إرسالها لكل مريض قديمه للانسانة مني لئلا يفسد قيمة الثمن المذكور. أحمد ك.